**السنة الثالثة ليسانس، التخصص: تاريخ**

**مقياس تاريخ الفكر الاجتماعي والسياسي**

**المحاضرة الخامسة**

**الفكر السياسي في عصر النهضة الأوروبية**

**تمهيد:**

مثل عصر النهضةمرحلة مفصلية في التحولات التي شهدتها أوربا بعد العصور الوسطى، ولم يقتصر تأثير هذا التحول على أوروبا بل امتد إلى كل العالم بأشكال ومستويات مختلفة، لقد تفجرت في هذه المرحلة ثورة معرفية واسعة بالتوازي مع التحولات السياسية التي كانت تعيشها أوربا.

كان لحركة النهضة تأثير واضح على الواقع في أوربا ومن أهم ملامح هذا التأثير:

* ظهور حركة الإصلاح الديني وكان مارتن لوثر من أبرز زعمائها.
* محاولات إزاحة الكنيسة والتقليص من دورها ومن مكانتها.
* تطور المناهج المعرفية وخاصة في القضايا التي تتناول الإنسان والمجتمع ومكانة العقل ودور الدين.

لقد كان لهذه الملامح دورها في التأثير على مجمل الفكر السياسي الذي تبلور في هذه المرحلة، وفي نفس الوقت كان للأفكار التي ظهرت في هذه المرحلة دورها في التأثير على الواقع السياسي في أوربا ومن ثمة في العالم.

**نماذج من مفكري عصر النهضة**:

ظهر عدد من المفكرين الذي تبنوا الأفكار الجديدة، وكان لبعضهم دور ريادي في إنتاج هذه الأفكار:

1. **مكيافيلي (1469- 1527) م:**

مفكر إيطالي تركز اهتمامه على التاريخ والسياسة والقضايا الاجتماعية، وإن اشتهر بإسهامه في الفكر السياسي من خلال أشهر كتبه وأكثره رواجا عند النخب الحاكمة حتى وصفه البعض بأنه إنجيل الحكام وهو كتاب " الأمير"، استند ماكيافيلي في فكره على الاستمداد من التاريخ باعتباره "أفضل معلم".

لقد كان الفكر السياسي لمكيافيلي صدى لعنصرين إثنين:

* الوضع الذي كانت عليه إيطاليا في فترته خاصة ذلك الصراع المحتدم بين السياسين وسلطة الكنيسة في ظل الغياب المؤثر للسلطة المركزية، وتفتتها بين عدة كيانات مثل نابولي، البندقية، فلورانس ...من جهة، ودور الفاتيكان مقر البابوية من جهة أخرى، وهو ما انعكس بالسلب على الأوضاع العامة لإيطاليا.
* المهام والوظائف التي تقلدها مكيافيلي، واللقاءات التي جمعته بعدد من السياسيين في عدة مناطق من أوربا، وساهمت بشكل كبير في تكوين فكره السياسي، وصياغة نظريته في إدارة شؤون السلطة والحكم.

ركز مكيافيلي على أهمية وجود الدولة المركزية القوية، وأن ذلك يحتاج إلى سياسيين من نوع يجمعون بين القوة والصرامة، وبين القدرة على إدارة الصراعات بذكاء ومرونة، وقد فصل ذلك في كتابه الشهير الأمير الذي نشر سنة 1513.

لقد أعطى أحد المفكرين توصيفا دقيقا لأهمية الفكر السياسي لمكيافيلي ولطبيعته قائلا:" لقد أعطانا مكيافيلي في هذا الكتاب (الأمير) فلسفة عن فن الحكم ووسائله، أكثر من إعطائه لنا نظرية عن الدولة".

1. **توماس هوبز (1588- 1679) م:**

مفكر انجليزي، من أهم كتبه ذات الصلة بالفكر السياسي: كتاب "القانون السياسي والطبيعي"، وكتاب " التنين"....

وبدوره عاش هوبز في فترة ميزها الاضطراب السياسي في إنجلترا، وكان شاهدا على مقتل أحد ملوك بريطانيا سنة 1649.

اشتهر بمقولة أن "الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" كإشارة للأصل الشرير للإنسان حسبه، وأن النتائج التي تترتب على ذلك هي التي تدفع بالناس إلى وضع القوانين والتنظيمات للتحكم في هذه الطبيعة الأصلية للإنسان.

1. **سبينوزا (1697-1632) م:**

ولد سبينوزا في أمستردام في هولندا، من أسرة إسبانية الأصل، ورغم أن تعليمه كان دينيا في بدايته، فهو كيهودي تعلم التوراة والتلمود واللغة العبرية، لكنه كان متمردا عن اليهودية وأعلن تخليه عنها.

من أهم كتبه:

الرسالة الموجزة في الله والإنسان وسعادته.

رسالة في إصلاح العقل.

رسالة في اللاهوت والسياسة.

كان سبينوزا في فكره السياسي من مناصري النظام الديمقراطي رافضا للأنظمة الاستبدادية، دعا إلى التمكين للحرية باعتبارها تتطابق مع العقل، يقول عبد المجيد عمراني في كتابه (محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي) أن سبينوزا يرى " أن النظام الديمقراطي هو أكثر النظم اتفاقا مع العقل البشري ومع الطبيعة، وفلسفة الحرية تعتمد على العقل إذ أن العقل الفردي يحرر الإنسان، وعقل الدولة يحرر المجتمع".

1. **جون جاك روسو (1778-1712) م:**

مفكر وفيلسوف فرنسي من أصل سويسري، اشتهر بكتابه "العقد الاجتماعي" وقع وضع فيه كل فلسفته في الفكرين الاجتماعي والسياسي.

يُخالف روسو مقولة هوبز بأن الإنسان شرير بطبعه، وهو يرى أن المجتمع هو الذي يوفر الجو لخيرية الفرد أو لتوجهه الشرير، ولذلك قدم نظرية العقد الاجتماعي التي تقوم على تنازل الأفراد عن حقوقهم لصالح سلطة مقابل التزام هذه السلطة بخدمتهم، ويحق لهم في حالة إخلال السلطة بهذا العقد إزاحتها، وهذا هو جوهر العقد.

لقد ناقش روسو في كتبه الكثير من المفاهيم والمصطلحات وقدم حولها أراء جديدة في عصره من قبيل الإرادة العامة، السيادة، الأخلاق السياسية، القانون، الحرية والمساوة، الديمقراطية، أشكال الحكومات ...

لقد ساهمت هذه النظرية في توفير القاعدة الفكرية التي ستؤدي إلى تحولات سياسية كبرى في أوربا بداية من الثورة الفرنسية 1789م.

لقد كانت أفكار هؤلاء المفكرين وغيرهم بمثابة الإسهامات الأساسية في صياغة الفكر السياسي الحديث، صحيح هم نتاج بيئة غربية أوروبية لها خصوصياتها ولها ظروفها، لكن هذه الأفكار بعد أن نجحت في حل الكثير من المعضلات التي كانت تعاني منها أوربا تحولت إلى أفكار عالمية مُعززة بالقوة المتصاعدة للغرب الأوروبي طيلة القرون الخمسة الأخيرة، طبعا هذا لا يعطيها الكمال المطلق ولا الصوابية الدائمة، لكن هي جزء مهم في اجتهاد العقل البشري في تعامله مع واقعه.